المجلد الثاني – العدد الأول
يونيو 2025
ISSN:3079 - 2444
مجلة أوتاد المعرفة : مجلة علمية إلكترونية محكمة. تصدر عن الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – طبرق

الصورة اللونية للوطن في الأعمال الشعرية الكاملة للفزاني

د. نورية سعد سالم
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية – كلية التربية . جامعة الزيتونة /ترهونة

الملخص:

يعد اللون من أهم مقومات الصورة ، فتوظيف اللون في العمل الأدبي يلفت الانتباه ويثير الإعجاب ويبعث الإحساس بالجمال والتناغم ، وهذا ما فعله الشعراء في قصائدهم لإبراز صورهم بشكل مثير، فالصورة اللونية تعطي مظهرًا حسيًا مؤثرًا يجذب المتلقي لما يضفيه من جمالية حسية على الصورة ، و لما تحمله الألوان من دلالات عدة ترتبط بحياة الإنسان .

ولجأ شاعرنا على الفزاني في أعماله الشعرية إلى اللون ؛ لإبراز صوره ونقل أفكاره بصورة معبرة عن هموم وطنه ، فاللون لايقل عن الحركة والصوت في تركيب الصورة المؤثرة في المتلقي . والفزاني عند توظيفه للألوان لم يكن بمحض الصدفة بل كان توظيفًا دلاليًا وصوتيًا وتركيبيًا جاء مصاحبا بأبعاد توحي بموهبته الشعرية ، وقد نوع في توظيفه لها ما بين لفظ اللون الصريح والمؤول الذي يتضمن معان أعم وأوضح أحيانًا ، فالألوان تخرج عن دلالاتها المعجمية المتعارف عليها إلى دلالات أخرى تتلون وفقًا لرمزية اللون ، ونحاول في هذه الدراسة الوقوف على دلالاتها في أعمال الشاعر ، ومدى تمثلها في نقل أحاسيس الفرح والحزن والغضب والخوف والأمل عنده وإبراز حسه الوطني.

Abstract:

Color is one of the most important components of an image. The use of color in a literary work attracts attention, arouses admiration, and evokes a sense of beauty and harmony. This is what poets have done in their poems to highlight their images in an exciting way. A color image creates an impressive, sensual appearance that attracts the viewer, both because of the sensual beauty it confers on the image and because colors carry numerous connotations related to human life.

Our poet Ali Al-Fazzani resorted to color in his poetic works to highlight his emerging images and ideas in a different way from the concerns of his homeland. Color is no less than movement and sound in composing the image that affects the recipient. When Al-Fazzani employed colors, it was not by chance, but rather a semantic, phonetic, and structural employment that came accompanied by dimensions that suggest his poetic talent. He diversified in his employment of colors between color and words.

The explicit and the interpreted, which sometimes includes broader and clearer meanings, as the colors go beyond their conventional lexical connotations to other connotations that are colored according to the symbolism of the color. In this study, we attempt to stand on their connotations in the poet's works, and the extent to which they are represented in conveying feelings of joy, sadness, anger, fear, and hope in

المقدمة:

اللون يثري الصورة ، فهو من أبرز مقوماتها، و من أهم مؤسسات المنظر الجمالي ، الذي " يثير فينا إحساسًا بالانتظام والتناغم والكمال وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة ، أو في أثر فني من صنيع الإنسان "[1]

فتوظيف اللون في القصيدة يزيد من جمالها فتكون الصور اللونية في القصيدة أكثر إثارة من غيرها ،"ولاتقتصر استخدامات الألوان في حياة الإنسان على النّواحي الجمالية ، وعلى استثارة الإحساس بالبهجة والانشراح ، وإنّما تستخدم كذلك لأغراض وظيفية وأهداف عملية يعد عنصر الجمال أو المظهر فيها أمرًا ثانويًا"[12] ، ولم يقتصر توظيف الشعراء للألوان في قصائدهم على عصر معين ، إذ اعتمده الشعراء في كل العصور وإن اختلفت دلالات الألوان من عصر إلى آخر . وشاعرنا على الفزاني في أعماله الشعرية لجأ إلى اللون لإبراز صوره ونقل أفكاره بصورة مؤثرة ، وقد نوّع عند توظيفه الألوان فمنها ما كان صريحًا ، ومنها ما يدرك بالإيحاء .

وهدفت من وراء هذا البحث إلى:

. دراسة الصورة اللونية للوطن عند لفزاني في أعماله الكاملة باعتبار أن اللون في لغة الشعر يخاطب الذهن بتجلياته إلى جانب الحس بجمالياته .

. بيان ما تحمله الألوان من إيحاءات ، وما تبثه من دلالات ومعان في السياق الشعري وتحديد أكثرها وضوحًا وذكرًا في أعماله .

. معرفة مدى تداخل الألوان في النسيج والبناء الشعري لديه .

بالوقوف على أعماله الشعرية نلحظ :

بروز الألوان وما تحمله من دلالات وإيحاءات عدة أثرت النص الشعري ، وعبرت عن الشاعر نفسيًا وفكريًا وأظهرت حسه الوطني بوضوح ، مصحوبة ببعض التقنيات كعتبة العنوان والمطلع

اللوني ، والصورة اللونية ، وعناصر تشكيلها التي تنوعت بين التراثي والحديث . وهذا كله سيكون محور الدراسة إن شاءالله .

دلالات الألــوان ومواطنها في شعر الشاعر

اللون يبرز العمل الفني عامة لما يحمله من إيحاءات ودلالات رمزية ، وما ينقله من معان عميقة تلامس الروح ، وتعبر عن مشاعر دفينة ، فالصورة اللونية تعطي مظهرًا حسيًا مؤثرًا يجذب المتلقي لما يضفيه من جمالية حسية على الصورة ، و لما تحمله الألوان من دلالات عدة ترتبط بحياة الإنسان ، وتسهم في خلق أجواء وفضاءات مؤثرة في المشاعر .

اللون الأسود :

يعد هذا اللون أكثر ما يطالعنا في شعر الشاعر ، فهو بما يحمله من حقول دلالية أكثر الألوان حضورًا ، ويدل اللون الأسود على معان عدة يمكن ربطها بالموت والهلاك والدمار من جهة ، ومن جهة أخرى يدل على القداسة والوقار ، فيعطي دلالة القوة والتحكم ، وهو اللون الخفي الغامض المثير للحزن والخوف لارتباطة بأشياء منفرة في الطبيعة كارتباطه بالليل وما يحمله من ظلام يسبب الخوف والفزع، فالظلام يحد الرؤية ويمنع وضوح الحقيقة ، ويقول العلماء في تفسير اللون الأسود :"اللون الأسود من أشد الألوان قتامة ، وفي الحقيقة هو عبارة عن نفي اللون الأسود يمثل الحدود المطلقة التي بعدها تتحقق الحياة ، ولذلك فهو يمثل العدم والانطفاء ، .... والأسود هو النهاية التي بعدها لايوجد شيء"[3] ، وقد وظف الشاعر اللون بدلالته الأصلية الأسود والأسمر ، الزنجي وأحيانًا بما يعادلها في الدلالة كالليل والدجى.

وأتى الطوفان يجتاح المرايا

يومها لاح سواد للخطايا[4] .

العرب نعتت كل شيء تبغضه بالأسود ، والشاعر لم يخرج عن ذلك فوصف البغايا باللون الأسود ؛ ليدل على مدى وقعها على النّفوس ونفورها منها ، وحمل اللون الأسود في شعر الشّاعر حقول دلالية عدة ترتكزعلى الاضطهاد والحزن والألم . كالأسمر والليل والدجى . من ذلك قوله:

فكفكفي دموعك السمراء ياحبيبتي

وانتظري . .

فربما غدًا أعود ياصغيرتي [5] ،

وقوله :

ستقودين أبابيل الشباب

في ليالي الموت والنصر على هذي الهضاب[6]

فالليل عند الشاعر يحمل لون الظلمة وما فيها من دلالة الخوف والفزع . ويقول أيضًا :

أنا ليل باحث عن صبحه في شكوك ثائرات للمدى

يولد الإنسان في حيرته هل ألاقي عبر شكي مولدا[7]

اللون الأزرق :

يعد اللون الأزرق لون الهدوء والسكينة . وهذا اللون كما تدل الدراسات يخفف من حدّة الغضب ، فهو مرتبط بلوني السماء والماء ، ويعده البعض درجة من درجات الخضرة ومن هنا يبدو اللون الأزرق اللون الوحيد الذي لم يُر له محددات تصف حدوده العلمية ، ولم يوجد له ألفاظ ثانوية تدل عليه وبذلك

تختلف دلالته باختلاف درجة اللون والشيء الذي به .ونلحظ أن الشاعر (علي الفزاني) اقتصر عند توظيفه لهذا اللون على لون العيون .

غمست في عيونها الزرقاء

روائع الحروف من يراعي

رقدت في ضفاف شعرها

كمتعب ممزق الشراع[8]

ومن أمثلة استعمال اللون الأزرق للعيون قوله :

في الغرب مولدك !

في الشرق لقمتك

من أجلها عيونك الزرقاء نمنحك

أموالنا . . بترولنا . . يافرحتك[9]

جاء اللون في الأبيات رمزًا للمستعمر الغربي صاحب العيون الزرقاء الذي يمتص خيرات الوطن وينعم بثرواته . وقد يعطي دلالة مختلفة " منها ما يدخل في عالم الحزن والكآبة والضياع"[10] ، فالشاعر سرح بخياله ليعبر عمّا يشعر به من حزن وألم بسبب ما عليه ابناء الأمة من تفكك ، وتخاذل حكامها . من ذلك قوله :

صار للقرصان في الديمومة الزرقاء حلاّ ومتاع

فافهموا أنّ الصّراع

في رؤى الملحمة السّمراء نزف لا قناع [11]

اللون الأبيض :

يحمل هذا اللون دلالات عدة ، فالطالما ارتبط اللون الأبيض بالفرح والسعادة والارتواء، وقد "استخدم رمزًا للطّهر والبراءة ، وللتفاؤل والرضا ، ولجمال اللون وإشراقه ، وأخيرًا رمزًا للمهادنة والمسالمة"[12]، ويأتي اللون الأبيض يما يحمله من دلالات في المرتبة الثانية عند الشاعر .

ويمثل اللون الأبيض " الضوء الذي ما كانت رؤية الألوان ممكنة من دونه ، فكل الألوان متضمنة في الضوء الأبيض ، فهو مكون من حزمة من الأشعة "[13] ، ففي اللون الأبيض صفاء القلوب ، ولونه الثلج ، كما أنّه لون الوضوح والطّهر والنّقاء . ونجد الفزاني في أعماله نوع من توظيف هذا اللون مابين اللون الصريح (الأبيض) ومن ذلك قوله :

قلمي. . والصفحة البيضاء زادي ، والمحابر ![14]

نلحظ أنّ الشاعر ربط حياته بما يكتبه ، فكان زاده القلم والصفحة البيضاء والمحابر ، ووصف الصفحة بالبيضاء ليدل على أنّه يعبر عن أفكار خاصة به نقية خالصة من بنات أفكاره .

ومع ما يحمله هذا اللون من دلالات تريح النفس ، يكون أحيانًا سببًا في الظلم والاضطهاد ، كالتمييز العنصري الذي أوجده المستعمر ، إذ أعطى الحرية والحقوق لكل من هو أبيض . أي من هو غربي . وسلب ونهب صاحب البشرة السمراء أو السوداء ، لا لإثم ارتكبه ، فجرمه أنه ليس أبيض البشرة ، وقف الفزاني عند هذه النقطة ، ليبرز مدى تعنت الغرب وغطرسته . فيقول :

أواه . . أعطني الأصباغ ، هاتِ لون ذلك الجليد

لعلني أستطيع أن أعود من جديد

أبيض لا يعرف النخاس لي هويه[15]

ورغم سيطرة العدو على خيراتنا ، ونهبه ثروات الشعوب الضعيفة لكن الشّاعر يملأ الأمل قلبه فالهزيمة لن تدوم ، والنصر سيأتي فيقول :

أقماري البيضاء لن تنضب

الشرق لن يُهزم

والله لن يهرم [16]

الفزاني لم يكثر من توظيف اللون الأبيض بلفظه وإنّما وظف دلالاته وما تحمله حقول دلالية من نور وإضاءة ، كالصبح واللجين والثلج والأضواء والضحى .

من ذلك قوله :

شعرها . . شلال فضة وبحيرات بعيده

كيف تاهت في سناها هذه الأنثى العنيده[17]

فشبه لون شعرها بالفضة في البياض المسترسل دون انقطاع ، ليشد المتلقي بهذه الصورة الحسية الملونة . والشاعر يكثر من وصف الشيب بالفضة فيقول :

بمداد . في صدوغي . كاللجين كتبت .. أني بلغت الأربعين

كيف أني لم أزل . . يا ويلتا أتغنى . . وركابي في المنون ؟

والصّبح والنّهار ، والقمر من ذلك قوله :

الصّبح بالأمس المضيّع لن يعود

الصّبح تاريخ جديد [18]

الشاعر رمز لانتصارات الماضي والأمجاد بالشيء المشرق المنير موظفًا لذلك أحد دلالات اللون الأبيض (الصبح) .

وقوله :

هل يعود النسر خفاق الجناح

فوق يافا ورباها ؟

هل ترى ذاك الصباح ؟[19]

اللون الأحمر :

يعد اللون الأحمر من الألوان الأساسية التي عرفها الإنسان في الطبيعة ، وهو من الألوان الساخنة إذ يحمل معنى الدم فهو لون مخيف نفسيًا ، إذ يحمل معنى "الصراع والقتل والموت والثورة "[20] ، و تختلف دلالته باختلاف موطنه فهو في الإنسان يختلف عنه في المعارك والحيوان والطبيعة ، وإن كانت الدلالة السائدة هي صلته بالدم وما يتبع من قداسة وقوة وسفك. وعلي الفزاني في أعماله الكاملة أكثر من ذكر الألفاظ التي تحمل دلالات هذا اللون وما ينتج عنه من حقول دلالية كالدم والنار واللهب . .. من ذلك قوله :

غرناطة :

سيدقّ الرعد أبواب المدينه

سوف يهمي مطر دامي الغمامه

سوف تهوي

من على أبراجك السمراء نجمه

وحمامه[21]

غرناطة محتلة من قبل الغرب لكن سيأتي اليوم الذي يثور فيها الأحرار وينادون بحريتهم ، وتحرير مدينتهم ، وعرض ذلك في صورة طبيعية معبرة ، موظفا الرّعد والمطر والنّجم والحمام في تصوير تلك الثّورة العارمة التي سيشارك فيها الجميع ، الشّاعر وظف الدّم الدّال على اللون الأحمر ناعتًا به لون المطر ، وفي الدّلالة نفسها يقول :

وتراءت . . في دجى الليل أباديد الخواطر

ثغر أنثى . . موت طفل . . نوح ثكلى

أكمه دام المحاجر ! [22]

جاءت الصورة لونية جامعة بين الأحمر والأسود ، بين الخوف والحب والجمال ، موظفًا حاستي السمع والبصر، وكان إطار الصورة يعمه السواد يبرز فيه ثغر أنثى يصاحبه موت طفل فتبكيه أمه ، ويصف دموع الأكمه بالحمرة الشّديدة التي تشبه الدم ، وكأنه يجمع بهذا الوصف بين أمرين الأول : شدة الحزن والثاني : شدة الألم .

الفزاني لم يذكر اللون الأحمر بمعناه الطبيعي إنما وظف حقولا عدة من ذلك قوله :

سأغني ياهواي ، أغنيات المستحيل

ودم الموال في قلبي ، على صدري يسيل [23]

نلحظ أن اللون الأحمر عند الفزاني يدل دلالة أكيدة على حالة حزن وألم فورد هذا اللون في أعمال الشاعر بدلالة الدم .

اللون الأخضر :

يدل اللون الأخضرعلى الحياة والحركة والأمل والخصب ، وهذا اللون يبعث على الارتياح فهو يعد من أحب الألوان إلى البشر فهو "لون متفائل مريح للناظرين ، لايصيب مشاهده بالكآبة والضيق ، وإنّما يضفي عليه راحة وجمالاً "[24] .

وبالرغم من جمالية هذا اللون وإيحائه بالحياة والتجدد والخصوبة والنضارة فالفزاني لم يذكره كثيرًا في قصائده . ومما ذكره قوله :

آه . . من يعط الشباب

للحروف الخضر ، في ليل الجنوب

غير جبار عنيد[25]

يصف الحقول بلون الحياة ، اللون الأخضر الرامز للبقاء والتجدد ، وذكر في السطر نفسه لون آخر ألا وهو اللون الأسمر الذي يحمل أهمية عظمى في تحقيق شدة الانتماء والارتباط بالهوية العربية ، والتصاقًا بالأرض فيقال أن العربي استمد سمرته من أرضه التي ترعرع عليها ونشأ فيها . فيقول :

يارفاقي في اشتياق للرحيل

لمعاد ، لبلاد الشمس أمي ، والنخيل

للوجوه السمر في خضر الحقول[26]

وللألوان قدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان ، وبعض الشعراء وظف هذه الألوان للتعبير عن نفسياتهم وما يخالجها إذ لها القدرة على الكشف عن شخصية الإنسان ، وشاعرنا وظف ذلك . فاللون الأخضر "يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس "[27] ، والشاعر أداته الكلمة فيجعلها أحيانا وسيلة للدفاع والهجوم والوقوف في وجه الظالم والظلم. ومن ذلك قوله :

آه . . من يعط الشباب

للحروف الخضر ، في ليل الجنوب

غير جبّار عنيد

يتغنى بطموح العصر محموم اليراع [28]

وقوله :

سوف أكتب . .

بعض خضر الأغنيات

سترين الحرف يزهو باخضرار[29]

الكتابة والتعبير عن الأفكار يبعث الحياة في قلب صاحبه وقلب المتلقي ، فأعطاها اللون الأخضر .

قلب اللون واللون الزائد عند الفزاني :

. قلب اللون :

هناك ألوان ثابتة كضوء الشمس وسواد الليل وبياض الثلج ، والشاعر يقلب أحيانًا الألوان ليثير انتباه المتلقي ويدفعه للتأمل في النص أكثر . من ذلك قوله :

دائرة مقفلة على الأضواء

مقبرة أكفانها سوداء

(موتى) ظلامها بلا غد ، بلا سماء[30]

المتعارف عليه أن لون الأكفان أبيض ، والشاعر جعلها بلون أسود ؛ ليدل على مدى الحزن الذي يخلفه أصاحب الأكفان في قلوب محبيهم ، فالفراق صعب على الأحياء ومؤلم لهم. فهذا التحول الذي أحدثه الشاعر يخدم نفسيته فقد لون الأكفان بأصباغه النفسية معبرًا عما يحس به .

و كذلك قوله :

مرّت على عظامي السمراء مركبه

بالحقد والرقيق مرت متعبه

لعالم ما زال يجهل الحقيقة المغتصبه [31]

اللون الأساسي والمعروف للعظام هو اللون الأبيض ، والشاعر عكس وأتى بالقلب اللوني وجعله سائدًا ، فقلب اللون الأبيض إلى نقيضه الأسود فجعل العظام المعروفة بلونها الأبيض سمراء ؛ ليبرز مدى حزنه وألمه من العنصرية والتمييز ، وإجهاض الحقوق ، في عالم يتظاهر بالحريات والمساواة في الحقوق بين الناس جميعًا ، لكن خابت آماله وأحلامه وسيطر عليه التشاؤم حتى عظامه صبغت باللون التشاؤمي المظلم .

ومن أمثلة قلب الألوان قوله :

أنهاري الخضراء لن تنضب [32]

النهر يكسب البياض لكونه ماء الذي هو سر الحياة وسبب الخضرة ، فلون الماء من الألوان الثابتة إلاّ أنّ الشاعر قلب اللون إلى الأخضر رمزًا للحياة التي يكون سببًا أساسيًا فيها.

وقوله :

سوف ألقاك على الدرب ندوبًا وجراح

مضغة سمراء قُدّت من ضلوعي

وأنا نصف جناح [33]

قلب الشاعر اللون الأحمر إلى الأسمر الدال على الحقد والكراهية والقلق ؛ ليدل على أنّ كراهيته للعدو وحقده عليه متأصل عنده فصارت جزءًا منه .

. اللون الزائد

يكون اللون زائدًا عندما يأتي به الشاعر للشكل فقط فلايضفي معنى جديدًا على النّص بحيث يمكن الاستغناء عن الكلمة اللون ويستقيم المعنى . كما في قوله :

وارتعشت أناملي ، ولاح وجه غربتي المنكوده

وصفّرت في البحر ، صفّرت سفائن المرافئ

ولاح لي في الظلمة السوداء وجه لاجيء [34]

.

يصور الشاعر حالته وما يعانيه من ألم بسبب ما عليه الوضع من تشرد وتهجيروغربة وظلم ، فيشعر أنّه في ظلمة الاحتلال والقيود ، والظلمة واضحة الدلالة ، فاللون الذي أتى بعدها (السوداء) لم يضف جديدا على المعنى وأنّما أراد الشاعر أن يؤكد الظلمة التي يشعر بها.

وقوله :

الليل عاد ، أصدقائي الصغار

والقمر الفضي فوهة نار

وشهرزاد لم تكن سوى أسيره[35]

القمر معروف بلونه الفضي والشعراء العرب يصفون القمر بالفضي ، فاللون هنا لم يضف شيئًا جديدًا على النص . وقوله :

أقماري البيضاء لن تغرب

الشرق لن يهزم [36]

فاللون الأبيض هنا يعد زائدًا إذ لم يضف لونًا جديدًا فالقمر معروف ببياضه .

ومن الألوان الزائدة عند الشاعر قوله :

كان في ركن المدينة يوم دارت كالرحى

ثم مادت وتهاوت بين صبح وضحى[37]

فالصبح والضحى يحملان دلالة البياض ، وقوله :

وتراءت . . في دجى الليل أباديد الخواطر

تغر أنثى . . موت طفل . . نوح ثكلى

.
.

أكمه دامي المحاجر ![38]

فالليل مرادف لوني يعنى السواد ، والدجى يحمل الدلالة نفسها ، فالمعنى لايتغير لو أنه قال : **وتراءت .. في الدجى أباديد الخواطر**

فالمعنى لم يختلف ، فذكر الليل الدال على السواد يعد زائدًا .

. تقنيات توظيف اللون في شعر الشاعر

(اللون والعنوان والمتن)

. عتبة العنوان:

يعد العنوان من الوسائل الدّلالية في بناء النص ، و"من أهم العتبات النصية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يسهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية"[39] ، فالعنوان يحمل الصورة الكلية عن المضمون ، وبه تبدأ عملية التواصل مع المتن ويؤدي العنوان دورًا فعالا في العملية الأدبية ، فهو بمثابة الجسر الذي يربط القارئ بالنص ، والعتبة والنافذة التي تنفتح على جوهره ، أي المفتاح الذي ندخل به عالم النص، فيكون " سمة تضيء غوامضه ، وتفك رموزه وتعيد توزيع عناصره "[40] ، فالصلة بين العنونة والنص ذات أهمية تكتسب من وجهتين الأولى : إن للعنوان وظائف ينهض بها باعتباره أول ما يقرع الأسماع ، ويشد الأبصار ويوحي بالمعنى ، والثانية : إن العنوان يوجه في كثير من الأحيان إلى مضمون العمل ، ومن وظائف العنوان إفادة التعيين والإيحاء .[41] ، ولأهميته وارتباطه الوثيق بالنّص يحرص المبدع على دقة اختياره له ؛ لأنّه "رسالة لغوية تعرّف بتلك الهوية وتحدد مضمونها ، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظّاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه"[42] ، فالعنوان يبعث بإيحاءات عدة تبوح بأسرار النّص فهو "ليس كلمة عابرة ، توضع اعتباطا ، بل يتم اختيارها أو

اللجوء إليها بدوافع مختلفة وضغوط متفاوتة"[43]، فهو النقطة التي تتلاقى فيها أحداثه ، كما يسهم في عملية التلقي بالنسبة للقراء ؛ لأنه المرحلة الأولى التي تتصل بالمتلقي ، ويمكن النظر للعنوان من ناحيتين : نحوية تركيبية ودلالية ، والشاعر على الفزاني لون بعض عناوينه بألوان معبرة عمّا يريد إيصاله للمتلقي ، والعناوين التي تحمل الألوان ودلالاتها جاءت في أعمال الشاعر على النحو التالي : **أغنية خضراء**[44] ، اختزل العنوان كثير من الدلالات والإيحاءات التي يحملها اللون الأخضر ، وقد برز هذا اللون في ثنايا القصيدة يمثل الأمل وما يحمله من حياة في الروح .

سوف أكتب ..

بعض خضر الأغنيات

سترين الحرف يزهو باخضرار

مثل زهو النور ليلًا

في قناديل الصغار

سنغني لهوانا . . لاخضرار الزهرات

لانتصار الحب في قلب الطريد

لك ياحبي الوحيد

نزفت بالشوق روحي خلجات

صخب الأمواج فيها . . ومواويل الجنوب وأعاصير الصحارى العاتيات

هن في قلبي وفي حرفي شموع

ستضيء الدرب يومًا . . والطريق

لخطانا . . وخطى جيل عنيد

سأغني كل خضر الأغنيات

الشاعر يغني لوطنه ويأمل أن تتحسن أوضاعه، ويعيد أمجاده فيزدهر متخذًا من اللون الأخضر دلالة معبرة عن هذا الأمل .

والعناوين التي تحمل دلالة الألوان هي :

(وأربع قصائد سمراء[45] ، 149 ، ورسالة سمراء[46] ، . وأحزان خضراء[47] ، والموت في المساء[48] ، العناوين جاءت بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار ، فالألوان التي جاءت في العناوين حاملة دلالات الحزن والألم والكفاح ما بين الأخضر ودلالات الأسود (الأسمر والمساء) وعنوان واحد فقط يحمل دلالة الأمل والنور أسفار الحزن المضيئة[49] ، بالرغم من أنها أحزان فالأمل يراود الشاعر إذ يخلع عليها صفة الإضاءة .

المطلع اللوني:

المطلع جزء مهم في القصيدة وأهميته لاتقل عن أهمية العنوان ، إذ يستهل به الشاعر قصيدته فيكون حاملاً شحنة عاطفية ناجمة عن تجربة عاشها الشاعر ، و مفتاحًا للنص و بابًا للولوج إلى داخله ، ومنه ينطلق المتلقي إلى أعماق النّص ، إذ يحمل المطلع المعنى الدّلالي للقصيدة وغرضها ، والفزاني قد وظف الألوان أحيانًا في مطالع قصائده ، فحملت شحنة عاطفية معبرة عن نفسية الشاعر ، وأغلبها جاء باللون الأسود أو ما يحمل دلالاته وهذا يدل على ألم الشاعر وحزنه. من ذلك قوله :

حروفه مصبوغة بالنار

مغموسة في لهب القرار

صامدة في المعبد المنهار[50]

المطلع يبين أن الشاعر محارب شجاع لايخشى أعداءه ، يجاهر بالحقيقة و يدافع عنها بقوة ، فتكون كلماته هادية للناس إلى الحق ، منيرة لهم سبل التخلص من العبودية . يخشاه أعداء الحرية ويقفون له بالمرصاد . وقوله:

كان ليل وطريق

أ فتدري ما اغتراب المتعبين ؟

حاملي كل الجراح [51]

فاليل يوحي بالخوف والثقل والهدوء ، ويحمل دلالة السواد ، فالشاعر من ألم غربته وحنينه للوطن والأحبة ، أسودت الحياة في نظره . وفي الدلالة نفسها يستهل قصيدته (حكاية لأحفادي) فيقول :

الليل عاد ! !

الليل : قبضة هزيلة تدق

أسوار هذه المدينة [52]

ومن حزن الشاعر وحسرته على الماضي المجيد ، وحزنه على الوضع الراهن وما آلت إليه الشعوب العربية يستهل الشاعر قصيدة (عار الحياة) بذكر الصبح الحامل لدلالة البياض والإضاءة والنور مشيرًا به إلى الماضي التليد فيقول :

الصبح بالأمس المضيّع لن يعود

الصبح تاريخ جديد

فإحمل خريفك وأمض في الدهر السحيق

ذكرى في شفة المدى ، وهمًا سحيق

عار الحياة وعارنا هذا العقوق

مما يجي ولا يجيء به الشروق

والصبح بالأمس المضيّع لن يعود [53]

ومن توظيفه الألوان في مطالع قصائده قوله في قصيدة ميلو دراما :

سوف أبكي بدموع الفرحة السمراء مرّه

مثل طفل ، مثل فلاح فقير لم تبلل حقله المنكوب قطره [54]

وقوله :

ولتغرق الحروف في مستنقع الألوان [55]

الصورة اللونية :

يعد اللون من المكونات الحسية للصورة إذ يحمل دلالات وايحاءات تتعدى نطاقه الوضعي المطابق إلى ما هو أعم ، ويعد اللون من المثيرات التي تثير الشاعر خاصة والمتلقي عامة . فالشعر كما يراه الدكتور عزالدين إسماعيل ينبت ويترعرع في أحضان الألوان سواء أكانت منظورة أم مستحضرة في الذهن [56] ، وتوظيف الفزاني للون في شعره لم يأت عبثًا، وإنّما حمل دلالات ومعان توحي بموهبة شعرية قادرة على جعل اللون معبرّا حسيًا عن مشاعره وانفعالاته ، وأبعاده الفكرية وهمومه الوطنية ، وقد أخذت الصورة اللونية في شعر الشّاعر تشكيلات عدة منوعة بين التراثي والحديث . وأغلب الألوان التي تحدث فيها الفزاني مردها إلى الألوان الأساسية الأسود والأبيض ثم يأتي الأصفر والأحمر والأخضر .

ومن التشكيل التراثي الذي استمد الشاعر عناصره من التراث قوله :

وسقطت أقنعة

ولاحت العيون

صفراء مثل وجه ميت ![157]

جاءت الصورة عند الشاعر من المألوف في إطلاق اللون الأصفر على العيون ، والوجه في حال المرض ؛ لمنحها بعدًا نفسيًا معبرًا عن الحال التي يحياها الإنسان ، وإلى جانب دلالته على المرض فاللون الأصفر هو اللون الموحي بالزيف والخداع .[58] ، ومن دلالته أنه يدل على الخداع نجد في شعر الشاعر قوله :

شمعة صفراء في ليل الدروب

آه ماذا ينحتون ؟

كذبًا ، زيفًا ، تماثيل جنون

الدّعاة الواجفون [59]

ومنه أيضًا قوله :

ذكريات الفارس المهزوم يمضي

أصفرالعينين مقرور الذبول[60]

ومن الصور اللونية عند الشاعر :

صار للقرصان في الديمومة الزرقاء حلاّ ومتاع

فافهموا أنّ الصراع

في رؤى الملحمة السمراء نزف لا قناع [61]

في البيت الأول جسد الشاعر الديمومة ونعتها بأحد مدركات الحواس (اللون) الذي يدرك بالبصر ويظهر تجسيد المعنويات أيضًا في قوله :

عمري أنا . . أعطيته ووهبته لقضيتي السّمراء ، في طفراتي

آمنت بالإنسان . . أن وجوده حق على الأقلام والكلـمات [لا]

نعت الشاعر القضية بالسمراء ، فالقضية عنده كل شيء يؤمن به الشخص ويدافع من أجله ؛ لأنه يرى فيه حقه ، و بالرغم من تمسكه بقضيته فهو يرى الأمل في تحققها صعب المنال ، والطريق للوصول إليها شاق مظلم .

وفي موضع آخر يصف المتخاذلين المفسدين لقضاياهم من أجل مصالحهم بالجرذان ، فهم ينسون تضحيات الآباء والأجداد ويفرطون في حقوق الأحرار ، ويشوهون التاريخ المشرف بأعمالهم المتدنية من أجل حفنة مال أو منصب زائل . واستعان في إبراز صورته بتوظيف اللون ، فحشد بعض الألوان في مقطع شعري واحد فأعطى لوحة شعرية ملونة جمعت لونين متضادين الأسود والأبيض ، وهذا التضاد كان له دور مهم في تشكيل الصورة ، فهما رغم اختلافهما داخل الصورة تجمعهما في الحقيقة دلالة واحدة ، هي الدلالة اللونية ، فالأسود يرمز إلى الظلام وما يحمله من خوف وقلق ، أثر على اللون الأبيض الرامز إلى النقاء والوضوح والإشراق .

جرذان هذي الصحف السوداء

تقيأت في ذلك المساء

داست على تاريخنا المضاء

وعفرت أردانه البيضاء [62]

ومن صوره اللونية أنه وظف الألوان وجعل منها مستنقعًا يُغرق فيه ، والشاعر بهذا نقل لنا ما يشعر به من قلق وعدم ارتياح ، فالأمور اختلطت عليه بين وضوح وغموض ، وحزن وأمل وتفاؤل وانكسار بما تحمله الألوان من دلالات وإيحاءات عدة . إذ يقول :

غرقت في مستنقع الألوان

غمست ريشتي في مقلة الزمان

كتبت فوق قلعة منسية

الموت ليس لعبة الإنسان . . إنه قضيه [63]

ويعيد البيت الأول ليختم به قصيدته فيقول :

ولتذبح الحملان فوق هذه الموائد

فالعام عام محنة

ولتغرق الحروف في مستنقع الألوان [64]

. تراسل الحواس:

من صور التشكيل الحديث للصورة تراسل الحواس الذي يعد من وسائل تشكيل الصورة ، ومعناه "وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى"[65] .

وقد لون الفزاني بعض قصائده بهذا اللون ليثير المتلقي ويضفي الجمالية عليها من ذلك قوله:

فاحضنيها ياهواي

نغمة سمراء تدمي في يدي ساعي البريد ! !

فغدًا . . ياحبي الظمآن آتي . . والربيع [66]

يظهر التراسل بين معطيات الحواس في الأبيات بشكل واضح ، ففي البيت الثاني يصف النغمة التي هي من مدركات حاسة السمع بأنّها سمراء وهذه صفة من مدركات حاسة البصر .

وكذلك في قوله :

سوف أكتب . .

بعض خضر الأغنيات

سترين الحرف يزهو با خضرار [67]

في البيت الثاني يتجلى التراسل بوضوح فيخلع اللون الأخضر الذي من مدركات حاسة البصر على الأغنيات التي من مدركات حاسة السمع .

وقوله :

لكنني أكابد العذاب والألم !

وأنثر القصيد دامي النغم

مخضوضبًا ، واللحن في الشفاء دم

اللحن دم ! ! [68]

يوظف الشاعر التراسل بين حواسه ليثري صوره ويثير المتلقي ، فيجعل للحن لون دامي (أحمر) فجاءت حاسة السّمع تقوم بدور آخر فإذا بمدركات حاسة السمع (اللحن) يُدرك بحاسة البصر عندما يعطي للحن لونًا .

فتشكيل الصورة عند الشاعر تناول وسائل عدة ، واقتصرت الدراسة في هذا الجانب على تراسل الحواس.

الهوامش

1. جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، 85

2. أحمد مختار ، اللغة واللون ، 147.

3 . حافظ المغربي ، صورة اللون في الشعر الأندلسي ، 230 .

4. علي الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 342.

5. نفسه ، 258 . 6. نفسه 273 ، 7 . نفسه ، 342. ، 8 . نفسه ، 208 . 9 . نفسه ، 32 .

10 . ظاهر محمد هزاع ، اللون ودلالته في الشعر ، 62 .

11 . الفزاني ، 314 . 12 . نفسه 205 .

13 . أحمد مختار ، اللغة واللون ، 112.111

14 . الفزاني ، الأعمال الكاملة 52 15 . نفسه ، 238 . 16 . نفسه 151 .

17 . نفسه ، 122 18 . نفسه ، 217 . 19 . نفسه ، 337 .

20 . ظاهر محمد هزاع ، اللون ودلالاته في الشعر ، 43 .

21. علي الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 219 . 22. نفسه 51 .

23 . نفسه ، 304 . 24 . عبد المنعم الهاشمي ، الألوان في القرآن الكريم ، 123 .

25. علي الفزاني ، 230 . 26 . نفسه 293.

27 . أحمد مختار ، اللغة واللون ، 229

28 . علي الفزاني ، 230 29. نفسه 21 30 . نفسه 255 .

31. نفسه 238 . 32 . نفسه 151 . 33. نفسه 325

34 . نفسه ، 329 35 . نفسه ، 146 . 36. نفسه ، 151

37. نفسه ، 339 38 . نفسه ، 51. 39 . سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية ، azzman .com. 40. محمد فكري الجزار ، العنوان وسيموطيقيا الاتصال ، 118 ،

41 . ينظر بسام قطوس ، تجليات اللغة ، قراءة نقدية في شعر إبراهيم الخطيب ، 45

42 . رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي 117 .

43 . علي جعفر العلاق ، الدلالة المرئية ، قراءات في شعر القصيدة الحديثة ، 55.)،

44. الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 21..

45 . الفزاني الأعمال الكاملة ، 149 ،

46. نفسه ، 203 ، 47 . نفسه ، 231 48 . نفسه ، 343

49 . نفسه ، 113 . 50. نفسه 123 . 51. نفسه 41،،

52. نفسه 145 . 53 . نفسه 217 . 54 . نفسه ، 345 .

55. نفسه ، 249. 56 . عزالدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، 121. 130 .
57. علي الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 317 .

58 . ينظر ظاهر محمد هزاع ، اللون ودلالاته في الشعر ، 116 .

59 . الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 251 60 . علي الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 287 .

61 . نفسه ، 314 62 . نفسه ، 150 .

63. نفسه ، 247. 64 . نفسه 247

65. علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، 78 .

66. علي الفزاني ، الأعمال الكاملة ، 21 . 22. 67 . نفسه ، 21 .

68 . نفسه ، 160 .

المصادر والمراجع

. أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 1997 .

. جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2، 1984.

. بسام قطوس ، تجليات اللغة ، قراءة نقدية في شعر إبراهيم الخطيب تحت عنوان تجليات العنوان ، (الشعر الحديث في الاردن ونقده) منشورات جامعة آل البيت ، 1997 .

. حافظ المغربي ، صورة اللون في الشعر الأندلسي ، دراسة دلالية وفنية ، دار المناهل بيروت ، بيروت ، 2009 .

. رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي ، إفريقية الشرق ، الدار البيضاء بيروت ، 1998 .

. ظاهر محمد هزاع ، اللون ودلالته في الشعر ، دار الجامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 2008 .

. عبد المنعم الهاشمي ، الألوان في القرآن الكريم ، دار ابن حازم ، بيروت ط1 1990 .

. عزالدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصرقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دارالثقافة ، بيروت ، لبنان (د،ط،ت)

. علي جعفر العلاق ، الدلالة المرئية ، قراءات في شعر القصيدة الحديثة ، ط1 ، دار الشروق ، عمان 2002 .

. علي الفزاني ، المجموعة الأولى من الأعمال الكاملة ، المنشأة العامة للنشر والتوظيع والإعلان ، طرابلس ليبيا .

د. علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ط1 2008 .

. محمد فكري الجزار ، العنوان وسيموطيقيا الاتصال ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1989

. سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية ، azzman .com